# قيمة العقل فى العقيدة الإسلامية

إعـــداد

د. محمد عبد المنعم عبد السلام حسن

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

جامعة الأزهر الشريف

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله اللهم صلى وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**أما بعد**

فلقد استوقفتنى عظمة القران الكريم وهو يخاطب العقل فى الإنسان فيضعه فى موضعه اللائق به ويعطيه حقه وقدره ، إن القران الكريم دعوة للبحث والتأمل ، دعوة للعبادة والتمسك بالقيم والمبادئ ولا يستطيع القيام بهذه الدعوة إلا أولو الألباب .

ولأن العقل هو نعمة كبرى من الله للإنسان لذا فإنه محاسب عليها فالعقل مناط التكليف ولولاه لما كان حساب وعقاب وجنة ونار .

لقد استوقف القدماء مع الابنهار المدهش فى الواقع ذلك الشئ الذى ميزّ به الله البشر عن غيرهم من المخلوقات ذلك الذى حمل الإنسان به مسؤلية التكاليف وما يترتب عليها الجزاء ثواباً وعقاباً كما قلنا ، وقف فلاسفة الإغريق والرومان يبحثون بالعقل عن ما هية العقل ماهو ؟ وأين هو وماسماته ؟ وما عمله ؟

ولكن فلاسفة الإسلام كانوا أنضج فكرآ وكانوا أكثر بصيره لأنهم لم يبد أو من الصفر ، ولم يعتمدوا على العقل وحده وإنما كان لديهم أرصدة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح .

ومن عجب أن لفظ " العقل " لم يرد فى القران الكريم وإنما وردت مادته ووردت مترادفاته ولقد ورد بلفظه فى الحديث الشريف بعدة معان منها الآلة المفكرة وهى موضوع بحثنا هذا ، علينا أن نعيد النظر وأن نعيد التفكير فى قضايانا الهامة المصيرية ، إنها دعوة إلى يقظة الإنسان ، دعوة إلى احترام العقل فالذى يحترم نفسه يحترم عقله ولا يكون احترام العقل إلا إذا فكر الإنسان فى أموره الهامة تفكيراً منطقياً علمياً صحيحاً فالإنسان الذى يحترم عقله قوى شجاع إذا ما ثبت له بالدليل القاطع خطأ ما كان يعتقده فإنه يرفضه بشجاعة ليحل محله الفكر الصواب والحقيقة السليمة علينا ألا تقف عقيدة الآباء والأجداد أو غيرهم عقبة فى سبيل التفكير المنطقى العلمى الصحيح ولقد بذلت جهدى فى هذه المحاولة لا براز قيمة العقل فى العقيدة الإسلامية وبيان مكانته فى الإسلام مستلهماً ذلك من القران والسنة منتفعآ بجهود علماء أجلاء لهم فضل السبق فى هذا المجال وقد جاءت هذه الدراسة مشتملة على مقدمة وتمهيد وأربع مباحث .

## تمهيد :

### ماهية العقل

البحث فى مجال العقليات لا يخضع لتجارب معينة كالبحث فى الأشياء المحسوسة التى يستعمل الانسان فيها أدوات الإدراك أما العقليات " قياس الذكاء " لمعرفة مدى التفاوت بين العقول فى مختلف البينات فهى تختلف عنها تماماً وكل هذه أمور تتعلق بشئ عيبى داخل الإنسان هو العقل لذا فإن البحث فى هذا المجال يعتبر بحق من أشق الطرق وأصعبها لأن المطلوب تحديد شئ داخل الإنسان لا يستطيع أن يراه أو يصفه وفى الوقت نفسه يعجز عن إنكاره لأنه بدونه لا يسادوى شيئاً بل إن حياة الإنسان بدونه لا قيمة لها والأعجب من كل هذا أن الفرد سيحاسب حسب قدرة عقله أو قيمة ذكائه قال تعالى " **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** [1] " والبحث عن العقل لتحديد ماهيته شغل كثيرآ من العلماء ولا يختلف اثنان على أن العقل نعمة كبرى من الله أكرم بها الإنسان فبعض الناس شكر والبعض كفر يقول تعالى " **قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلآ ما تشكرون** [2] "

وقد ورد ذكر العقل فى الشرائع السابقة سواء بالتصريح أو الإشارة إليه ولكن ذكره لم يكن مقصودآ بعينه بل إننا نرى كهنة الشرائع السابقة توجه الإنسان إلى أن يحذر العقل ويستعمله فى حدود ضيقه بل إن هناك أموراً يمنع العقل من مناقشتها أو الخوض فيها بل عليه أن يسلم بها فقط وهى مسائل العقيدة حتى كان شعارهم " اعتقد وسلم وخذ وأنت أعمى " فهم يخشون على عقيدتهم من

(١) سورة الإسراء الأية ٣٦
(٢) سورة الملك الأية ٢٣

التفكير فيها أما القران فقد أعطى للعقل مكانه اللائق به وهو مقام التعظيم حيث جعل العمل به واجباً وطالب مخالفيه بقولهم " قل هاتوابرهانكم إن كنتم صادقين [١] " ويقول " قل هل عندكم من علم فتخرجوه [٢] "

لقد جعل الاسلام التفكير فريضة على الإنسان والتفكير من أعلى مراتب العبادة وهذا ما يتضح من قوله تعالى " **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** [٣] "

(١) سورة النمل الآية ٦٤ .
(٢) سورة الأنعام الأية ١٤٨
(٣) سورة آل عمران الأية ١٩١

**ماهو العقل إذآ ؟**

**تعريف العقل فى اللغة :**

لقد وردت عدة تعريفات للعقل كلها محاولات لا تعنى سوى تقريب معنى العقل للإنسان .

وقد جاء فى مختار الصحاح : العقل الحجر والنُهى ورجل عاقل وعقول وقد عقل من باب ضرب ومعقولاً وهو مصدر وقال سيبوبه هو صفة وقد يسمى الرجل بالمعقل أي الملجأ وقال الشيرازي : العقل صفة يميز بها بين الحسن والقبح والعاقل هو الجامع لأمره ورأيه وقيل العاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها أخذاً من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام والمعقول ما تعقله بقلبك والمعقول العقل يقال ماله معقول أي عقل وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول وعقل الشئ يعقله عقلاً أي فهمه والعقال ككتاب وفي حديث أبي بكر " لو منعوني عقالاً" أراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير .

وقد سمى العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك ، والمعنى الذي تتوخاه اللغة من مادة " عقل " وما تصرف منها يدور حول المنع والكف وحبس النفس عما يسؤ ويضر وهذه هي الغاية القصوى للإنسان من دينه أن يصرفه عن الأذى ويصده عن المكروه [1]

هذا عن تعريف العقل ومشتقاته في اللغة .

---

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ لابن منظور ط دار المعارف والقاموس المحيط ج ٤ صـ ٢٧٧، ٢٧٨للفيروز أبادي تحقيق مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم والمصباح المنير جـ ٣ص ٣٣ العلامة احمد المقري ، ط دار الحديث والنهاية في غريب الحديث والأثر ج٣ صـ ٢٧٨، ٢٧٩ لابن الأثير .

**أما تعريف العقل إصطلاحاً** : فيقول الاستاذ عباس محمود العقاد : العقل في مدلوله العام : ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع من المحظور والمنكر ومن هنا كان اشتقاقه من مادة عقل التي يؤخذ منها العقال وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد في اللغات الإنسانية الكبرى ،

" العقل ملكة مدركة مرتبطة بالقلب والرأس .[١] ويقول أحد الباحثين[٢]: العقل قوة خفية مدركة فطرية في الإنسان خلقها الله فيه ليكون مسئولاً عن أعماله على أساس قدرته للإدراك والتمييز بين الحق والباطل بين النافع والضار بين الخير والشر بين الخبيث والطيب والحسن والقبيح سواء حملت هذه القوة الخفية اسم العقل أو اسم القلب أو اسم العلم [٣] .

والروح والعقل واللب والفكر والنفس جميعها واحدة والأسماء مختلفة بالاعتبارات فباعتبار التجرد يسمى روحاً وباعتبار تفكره يسمى فكراً وباعتبار اتصاله بالجسم يسمى نفساً وباعتبار تقلبه في أطواره يسمى قلباً وباعتبار أنه الخلاصة يسمى لباً .[٤]

(١) التفكير فريضة إسلامية المقدمة للأستاذ عباس محمود العقاد ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(٢)هو الدكتور عبد العال سالم.

(٣) الفكر الإسلامي بين العقل والوحي صـ ٧ للدكتور عبد العال سالم مكرم

(٤) أضواء على النفس البشرية الدكتور عبد العزيز جادو طـ دار المعارف

## المبحث الأول

## القرآن والعقل

من المعلوم أن القرآن الكريم إنما خاطب العقلاء بما عندهم من العقل وقد ذكر العقل بمشتقاته في القرآن الكريم نحو " ما عقلوه ، ويعقلون ، وتعقلون ، لو كنا نسمع أو نعقل ، وما يعقلها إلا العالمون " تسعاً وأربعون مرة

وهذا جدول بالآيات والأرقام والسور

عقلوه

| رقم السورة | اسم السورة | أرقام الآيات |
|---|---|---|
| ٢ | البقرة | ٧٥ |

يعقلون

| رقم السورة | اسم السورة | أرقام الآيات |
|---|---|---|
| ٢ | البقرة | ١٦٤، ١٧٠، ١٧١ |
| ٥ | المائدة | ٥٨ ، ١٠٣ |
| ٨ | الأنفال | ٢٢ |
| ١٠ | يونس | ٤٢ ، ١٠٠ |
| ١٣ | الرعد | ٤ |
| ١٦ | النحل | ١٢ ، ٦٧ |
| ٢٠ | الحج | ٤٦ |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٥ | الفرقان | ٤٤ |
| ٢٩ | العنكبوت | ٣٥ ، ٦٣ |
| ٣٠ | الروم | ٢٤ ، ٢٨ |
| ٣٦ | يس | ٦٨ |
| ٣٩ | الزمر | ٤٣ |
| ٤٥ | الجاثية | ٥ |
| ٤٩ | الحجرات | ٤ |
| ٥٩ | الحشر | ١٤ |

نعقل

| رقم السورة | اسم السورة | أرقام الآيات |
|---|---|---|
| ٦٧ | الملك | ١٠ |

يعقلها

| رقم السورة | اسم السورة | أرقام الآيات |
|---|---|---|
| ٢٩ | العنكبوت | ٤٣ |

تعقلون

| رقم السورة | اسم السورة | أرقام الآيات |
|---|---|---|
| ٢ | البقرة | ٤٤ ، ٧٣ ، ٧٦ ، |

| | | |
|---|---|---|
| | | ٢٤٢ |
| ٣ | آل عمران | ٦٥ ، ١١٨ |
| ٦ | الأنعام | ٣٢ ، ١٥١ |
| ٧ | الأعراف | ١٦٩ |
| ١٠ | يونس | ١٦ |
| ١١ | هود | ٥١ |
| ١٢ | يوسف | ٢ ، ١٠٩ |
| ٢١ | الأنبياء | ١٠ ، ٦٧ |
| ٢٣ | المؤمنون | ٨٠ |
| ٢٤ | النور | ٦١ |
| ٢٦ | الشعراء | ٢٨ |
| ٢٨ | القصص | ٦٠ |
| ٣٦ | يس | ٦٢ |
| ٣٧ | الصافات | ١٣٨ |
| ٤٠ | غافر | ٦٧ |
| ٤٣ | الزخرف | ٣ |
| ٥٧ | الحديد | ١٧ |

وعن عظمة العقل ومعناه جاء فى كتاب " عقليات إسلامية : العقل أعجب لا تنسى عقلك أنه فوق ما قرأت وسمعت عن الكون العجيب . أجل إن العقل أعظم من الكون ولا شئ أعظم من العقل إلا خالق العقل وما نسبة العقل إليه إلا كنسبة الكلمة إلى المتكلم أو دونها [١].

ولقد ورد العقل فى القران الكريم بمسميات كثيرة كل اسم منها فى مكان معين ليدل على معنى مقصود فى الآية يعطيها جمالآ فى التركيب وبلاغة فى الأسلوب وإيضاحاً فى المعنى وإن كانت جميع المسميات تؤكد أن العقل هو المسئول عن إدارة حركات وسكنات الجسم حيث هو الذى يفكر ويقرر وعلى الجوارح التنفيذ ولما كان العقل صاحب هوى وله شطحاته وفيه قصوره وضعفه البشرى كان احتياج البشر إلى رسالة السماء فكان الدين الذى جعله الله قائداً للعقل لنيقذه من الضلال الى الهدى .

ولفظ " العقل " لم يرد فى القرآن مصرحاً به وإنما ورد بمادته فى مواضع كثيرة كما بينا . إن من أعظم ما شرف الله به الإنسانية وكرمها به هو العقل ومن هنا جعل الله العقل فى الإنسان ذروة تكريمه يقول الله تعالى " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً [٢] "

فعن طريق العقل تتعرف النفس على باريها ومبدعها بالنظر فى مخلوقاته ثم تستدل من نظرها فى المخلوقات على معرفة ماله سبحانه وتعالى من صفات الألوهية الوحدانية وغيرها من صفات الجلال والكمال فالعقل فضل به الإنسان عن الحيوان وهو أثمن ما وهب الله لعباده ولا يوجد أى كتاب أعلى

(١)عقليات إسلامية تأليف محمد جواد مغنية طبعة دار التبار بيروت حـ١ صـ٣١٠
(٢) سورة الإسراء الأية ٧٠

من شأن العقل وجعله مناط المسؤلية الإنسانية مثل القران الكريم فإنه ملئ بالآيات التى تحترم العقل الإنسانى وتحض على استعماله وتطلق سراحه والتى من خلالها يستطيع الإنسان أن يصل إلى معرفة خالقه عزوجل خالق الوجود ومبدعه [١] "

ومن هذه الآيات قوله تعالى " أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها [٢] " وقوله تعالى " قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق [٣] "

**من أسماء العقل فى القرآن الكريم :**

**١. العقل بمعنى اللب :**

جاء فى كتاب الشفا للقاضى عياض أن اللب أخص من العقل واللب حدة فهم العقل وسرعة دركه من لب الشئ خالصة وسره [٤] . وجاء فى مختار الصحاح للرازى : اللب والعقل وجمعه لباب ولب كأشد ويجوز إظهار التضعيف للضرورة واللبيب العاقل[٥]

وكلمة الألباب مادة لب وردت فى القرآن الكريم ست عشرة مرة [٦].

(١) العقل وأهميته فى الإسلام د. جمال منصور .حولية كلية أصول الدين العدد الثامن عشر المجلد الثاني سنة ٢٠٠١ م
(٢) سورة الحج الأية ٤٦
(٣) سورة العنكبوت الأية ٢٠
(٤) الشفا للقاضى عياض
(٥) مختار الصحاح كلمة لب
(٦) مادة لب في المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم ص ٤٦٩٨ وما بعدها

ولما كان العقل أشرف المخلوقات وأعظمها ذكر فى القرآن بمعنى اللب يقول تعالى " ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون [١] " وذلك أن الله بعد أن ذكر القصاص بين الحر والعبد وكذلك الأنثى وبين الله سبحانه قيمة العفو في هذه القضية الكبرى وهى القصاص أراد سبحانه أن يصنع أمام أعيننا ويفقه قلوبنا أن هذا التشريع فيه دفع للمصائب وجلب للمصالح وإحياء للنفوس ومن الذى يستطيع أن يفهم أن فى القتل إحياء إلا أصحاب العقول أولوا الألباب فذكرهم الله بذلك لعلهم يتقون [٢] .

### ٢. العقل بمعنى القلب :

لقد ورد العقل باسم القلب فى آيات الذكر الحكيم كثيراً وقلب الشئ أهم مافيه والقلب محل الحب والعداوة وإذا قلت فلان له قلب نقصد له عقل وقلب النخلة وسطها وبذلك تدرك أهمية تسمية العقل بالقلب فى القرآن الكريم إلا أن من البشر من يهمل أجمل الأشياء فيه ويهمل نعمة الله لديه ألا وهى القلب ولا عجب فإن من الأناسي من يمتلكون قلوباً لا يفقهون بها كما قال تعالى " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون [٣] "

### ٣. العقل بمعنى الفؤاد :

إن الفؤاد أغلى ما يمتلك الإنسان ويعبر عنه بأنه محل الحب والكراهة وهو اسم من أسماء القلب وجمع فؤاد أفئدة وقد عبر القرآن عن العقل بالفؤاد فالفؤاد مسئول

(١) سورة البقرة الأية ١٧٩.
(٢) قيمة العقل فى الإسلام صـ ٩٨ محمد الصايم الناشر مكتبة الزهراء
(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٤

عن إدراكه كما أن البصر مسئول عن إبصاره إن خيراً أو شراً وهذا الفؤاد بما حوى من نية أو عزم فإنه محاسب ذلك لأن الله ما أعطى نعمة إلا جعل لها استعمالاتها الحسنة المفيدة وجعل سبحانه الفؤاد محل كل ذلك ولله در الشاعر القائل :

**إن الكلام لفى الفؤاد وإنما ∴ جعل اللسان على الفؤاد دليلا**

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى عظم هذه المسئولية المنوطة بالفؤاد فى قوله تعالى " **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** (١) "

ومن كرم الله للإنسان أنه لا يحاسبه بمالم يتكلم به فطالما أن الكلمة أو النية فى حيز الوسوسة أو كونها مكنونة فى القلب لم تترجم إلى قول أو عمل فالله تعالى لا يحاسب المرء عليها بل يعفو ويصفح وبكرمه يغفر ويستر وهذه أم موسى عندما أمرها الله تعالى بوضع وليدها فى صندوق وتلقيه فى اليم أخذها الحزن خوفاً على وليدها لأنها تريد معرفة مصير ولدها فثبتها الله وطمأنها على حال وليدها يقول تعالى " فأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (٢) " وهذا تعبير قرآنى بليغ يبين أن الفؤاد اسم للعقل حيث وصف بأنه يصغى ويتدبر وهذه كلها من خصائص العقل يقول تعالى " **ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** (٣) "

(١) سورة الإسراء الأية ٣٦
(٢)سورة القصص الأية ١٠
(٣)سورة الأنعام الأية ١١٣

### ٤. العقل بمعنى الحلم :

الحِلم بكسر الحاء أى التأنى والتدبر [١] ويقال فلان تحَلمّ بكذا أى تخلق به أى جعله من صفاته المميزة له والحُلم بالضم معناه ما يراه النائم والعقل عندما يرقى بفكره ومعرفته يسمى حِلم بالكسر . لذلك سخر الله من عقول الكافرين فسفه أحلامهم أى عقولهم فقال تعالى فيهم " أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون [٢] "

**قال المفسرون** : كان عظماء قريش يوصفون بالأحلام والعقول فأزرى الله بأحلامهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل [٣] . ورؤية فرعون التى فسرها له الكهان بأنها خواطر تحدث من كثرة المتاعب وأن هذه الرؤيا لا قيمة لها وعليك ألا تعبأ بذلك لأنها أضغاث أحلام أى تخاريف عقول وأوجاس شياطين [٤] .

### ٥. العقل بمعنى الحجر :

من حق الله عزوجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته وليس من حق الإنسان أن يقسم إلا بالله الذى أوجد المخلوقات وقد أنعم الله على البشرية بنعم لا تحصى وأقسم سبحانه ببعضها لبيان فضلها وهذا مثال لذلك : أقسم الله بالفجر والليالى العشر والشفع والوتر لما فى ذلك من منفعة للإنسان ... ثم بين سبحانه أن هذا القسم إنما هو لكل صاحب عقل وفكر ليعرف قيمة وعظمة نعم

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة حلم
(٢)سورة الطور الأية ٣٢
(٣) قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٢٥ طبقة دار الجيل بيروت
(٤) صفوة التفاسير الشيخ محمد على الصابونى ح ٢ صـ ٢٨٩ وما بعدها دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان .

الله عليه وفى ذلك يقول الله تعالى " **والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر** [١] " أى صاحب عقل ولب فمن كان كذلك عرف وأدرك قيمة ما أقسم الله به والله ما أقسم إلا بما هو عظيم يقول تعالى " وإنه لقسم لو تعلمون عظيم [٢]" قال الحسن " لذى حجر " أى لذى حلم وقال أبو مالك لذى ستر من الناس وقال الجمهور : الحجر هو العقل وقال الفراء : الكل يرجع إلى معنى واحد " لذى عقل ولذى حلم ولذى ستر " والكل بمعنى العقل [٣] .

### ٦. العقل بمعنى النهى :

جاء فى القران الكريم إطلاق كلمة " النُهى " على العقل ومفرد نهُى "نهية" وأطلقت هذه التسمية على أصحاب العقول لأنهم الذين ينُتهى إلى أمرهم – فهم أهل الخبرة والمشورة والرأى الراجح والفكر السديد – وقيل سموا بأصحاب النهى لأنهم ينهون النفس عن القبائح [٤] . وهذا معنى جميل لأن كل عاقل لا يقبل على نفسه الرذائل أو ما يشينها وقيل أصحاب النهى أى الذين ينهى إليهم الأمر فيأخذ الناس برأيهم فى المشورة يقول تعالى " الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبيلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى [٥]" أى لأصحاب الفكر الذين يتأملون فى الكون ويذكرون الله ويشكرونه على نعمه .

---

(١) سورة الفجر الأيات من ١ : ٥

(٢) سورة الواقعة الأية ٧٦

(٣) " فتح القدير " فى تفسير سورة الفجر ج ٥ صـ ٦٢١ وما بعدها للإمام الشوكانى حققه سيد ابراهيم . دار الحديث . القاهرة

(٤) مختاح الصحاح للرازي كلمة نهى

(٥) سورة طة الآيات ٥٣ ، ٥٤

وإن دل كل ما سبق من مسميات للعقل وروت فى القران فإنما يدل على مدى احترام القران للعقل – حيث خاطبه بكل اسلوب بليغ مقنع وبكل اسم من أسمائه – وليعلم أن كل اسم مسميات العقل يختلف فى معناه حسب وروده فى الأية لأن كل أية تتحدث عن شئ معين يتناسب مع اطلاق هذا الاسم أو ذاك على العقل [1] .

(١) قيمة العقل فى الإسلام صـ ١٠٣ ، ١٠٤

## المبحث الثانى

## الديـــن والعقـــل

### ١. حاجة العقل إلى الدين :

خلق الله الإنسان ليعيش مع غيره من الكائنات ويتعامل معها وقد أنعم الله على النحل والنمل بإلهام إلهى تستطيع به أن تنظم حياتها ومثال ذلك قصة نملة سليمان عليه السلام حيث ظهر منها شدة حرصها على بنى جنسها ومدى حبها لبقية أفرادها يقول تعالى : **يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهو لا يشعرو** [١]. ولكن الإنسان لم يتوفر له مثل هذا الإلهام الذى يعينه على وظائف الحياة وهنا تظهر نعمة الله جلية حيث وهبه ما هو أعظم من هذا الإلهام ألا وهو العقل الذى يميز الأشياء ويرى الحق من الباطل بل إنه يشرف على كل ما تدركه الحواس فالبصر يتعرض لما يسمى بالخداع كأن يرى الإنسان الشئ الكبير من على بعد كأنه صغير مثل الطائرة فى الجو وقد وقعت فى هذا الخداع أم سيدنا إسماعيل عليه السلام ، هاجر حيث نظرت إلى الصحراء باحثة عن ماء لطفلها الرضيع وكانت الشمس جلية على سفح الجبال فتهيأ لها أن هناك على بعد نهر به ماء فأسرعت إليه وخاب أملها ثم رجعت ثم نظرت مرة ثانية فخدعت وهكذا بين الجبليين الصفا والمروة سبعة أشواط وفى الشوط الأخير تفجر الماء نعمة ورحمة من الله .

نقول من الذى يكشف كل هذا الخداع ؟ إنه العقل وقد ضرب الله لنا مثلاً لهذا الخداع البصرى ما جاء فى قصة موسى عليه السلام مع السحرة يقول

(١) سورة النمل الأية ١٨

تعالى " يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى [1] " والسمع يتعرض للخداع وهكذا باقى الحواس أما عن العقل فنحن الآن أمام سؤال يحدد موقفه هل العقل لا يخطئ ؟ ثبت بما لايدع مجالاً للشك أن العقل يخطئ فى تقديره للأمور كبقية الحواس فما استحسنه الآن قد يرفضه غداً وقد يقرر السعادة أو الخير فى شئ ثم يكون فيه شقاؤه وهلاله قال تعالى " **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** [2] " وقد تؤثر على الإنسان أوقات النشوة فيوافق على أمور يرفضها إذا عرضت عليه نفس الأمور وقت عدم الانسجام الشخصي والعقل قد يلجأ إلى المبررات التى يحاول بها أن يثبت صحة موقفه من أمر ما وقد تستهويه الملذات وتخضعه الشهوات فيصير عبداً لها وبذلك يفشل فى إسعاد صاحبه وهذا ما يجعل البشرية فى صراع وحروب وتآمر ويحاول كل فريق أن تكون له الغلبة لينتصر لرأيه أو ينشر فكره ، حتى إن المذاهب الفلسفية والتى لا تكاد تعد مبنية على العقل وكلها مؤسسة عليه وقائمة به وكلها جذابة أخاذة تغرى بقوة أدلتها وتستولى عليك بصرامة منطقها ومع ذلك فلا تكاد تتفق فى شئ ما [3] .

لقد أخطأت الحواس كما ذكرنا وأخطأ العقل فلا ثقة فى هذا ولا ذاك وبعد خيبه الأمل فى أن يسعد العقل الإنسان أو حتى ينجح فى وضع منهج تسمو به البشرية عن هذا الانحطاط الفكرى والذى أصاب كرامة الإنسان بل

(١) سورة طة الأية ٦٦

(٢) سورة البقرة الأية ٢١٦

(٣)المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالى صـ ١٩٧ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار المعارف

وتسبب فى سفك الدماء [١] ، أليس هذا العقل يحتاج لهداية ترشده بل وتحكمه وتحدد له معالم الطريق ؟ من أجل هذا كان المغزى العظيم فى تكرار المسلم فى اليوم أكثر من مرة لهذا الدعاء " إهدنا الصراط المستقيم " [٢] "

إن العقل غير كاف لاسعاد البشرية فى الدنيا والآخرة بل ثبت عجزه فى وضع حلول ولو شبه عادلة لسير حياة البشر وما يترتب عليها من مشكلات ، ولو كان العقل كافياً لما أرسل الله الرسل يبلغون منهجه الذى فيه إسعاد البشرية من عقيدة وعبادات ومعاملات وتشريع وأخلاق لذلك كان الدين وسيظل هادياً للعقل وآخذاً بيده إلى الطراط المستقيم .

لقد كان الدين هادياً للعقل فى أهم أمور حياته والتى تتعلق بالغيبيات والسمعيات " وهى العقيدة " الإيمان بالله والرسل والملائكة والجنة والنار ومافى السموات وما تحت الأرض وكل ما وراء الطبيعة . إن العقل هو الذى يفكر والدين القائد الذى يوجه ، الشرع كاف بتحديد معانى الخير والشر والفضيلة والرذيلة بل إنه يهذب العقل بأمره له الالتزام بالأخلاق الحسنة ،

من هنا تتضح قيمة الدين بالنسبة للعقل وهذا يبين خطأ البراهمة القائلين بالاكتفاء بالعقل عن الشرع ولو ترك الأمر فى العقائد والغيبيات والأخلاقيات للعقل لاختلف الناس ولتفاوتت الآراء ولكثرت المذاهب التى تؤدى إلى الهلاك والعياذ بالله تعالى يقول الله تعالى " ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم [٣]"

(١) قيمة العقل صـ ٣٨ ، ٣٩
(٢) سورة الفاتحة الأية ٦
(٣) سورة آل عمران الأية ١٠١

**٢ـ العقل والغيب**

لايستطيع أى باحث أن يحدد نشأة البحث فى المغيبات وأصدق الآراء فى ذلك أنها نشأت منذ نشأ الإنسان ورغم الاختلاف المتباين بين الباحثين " فيما وراء الطبيعة " إلا أنه مما اتفق عليه أن كل المساتير يطلق عليها غيب .

ولعل أفضل تعريف للغيب هو " كل ماوراء الطبيعة فهو غيب " وقد أخطأ البعض فى اعتقادهم أن العقل وهو طريق المعرفة العقلية قادر على معرفة المغيبات لأن المغيبات من المعقولات وما دمنا قد وثقنا فى الحس لمعرفة الماديات فلنلتزم بالعقل فى معرفة المغيبات ، وهذا مجرد اعتقاد خاطئ بدليل أن التصور وهو أساس المعقولات لا يقوم إلا على الحواس والحقيقة أن العقل سواء لدى العالم أو الجاهل فإنه يعتمد على الواقع المحسن ومادامت المساتير " أى الغائبة عن حواسنا " لا شأن لها بالحس فكل تفكير فيها لا يؤدى إلى نتيجة مرضية ومثال ذلك تورع جمهور المسلمين فيما يتعلق بالله فقالوا " كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك " إذ أن كل ما خطر بالبال لا يمكن إلا أن يكون مادياً محساً وكمال الله يقتضى تنزيهه عن المادة وعلائقها [١]"

ومهما تطور الفكر العقلى وأخذ بأسباب الحضارة محاولاً اختراق المساتير لمعرفة الغيب إلا أن هذه المحاولات عجزت عجزاً تاماً وأصبح من البديهى أن الميدان الذى يتخبط فيه العقل تخبطآ لا نهاية له هو ميدان ما وراء الطبيعة .

(١) المنقذ من الضلال صـ ١٧٩ لآبى حامد الغزالى تحقيق د. عبد الحليم محمود ط دار المعارف

والإسلام يعتبر الإيمان بالغيب ضرورة لأنه إيمان بالله أولاً يقول تعالى " **الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب** (١) "

ويؤكد رسول الله ﷺ أن الإيمان بالغيب ضرورة فعن أبي جمعه الأنصارى قال : قلت يارسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً آمنا بك واتبعناك قال : **ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحى من السماء بل قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب الله بين لوحين فيؤمنون بى ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجراً** (٢) " والإيمان بالغيب يشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بما فيه والقضاء والقدر .

وإذا كان العقل يستعمل موازين أدت إلى استنتاجات مجهولة فى مجال " إدراك الغيب " وذلك لأن العقل يخدع صاحبه كبقية الحواس كما بينا سابقآ وهو قاصر بالخصوص فيما يتعلق بالألهيات وثبت أيضآ قصوره فى مجال الأخلاقيات .

**وهذه حقيقة لابد منها وإلا فما هى الحكمة فى وجود الدين أصلاً ؟**

من هنا كان عجز العقل عن إدراك الغيبيات وتسليم هذا الأمر لما أتى به الدين وليعلم أيضاً أن التشريع داخل فى نطاق الأخلاقيات فهو ينظم ويضبط العلاقات يقول ابن عبد البر " إن الله ليس كمثله شئ فكيف يدرك بقياس أو إمعان نظر "

إن الله عزوجل حدد لنا كثيراً من المغيبات التى يقصر العقل عن إدراكها أو معرفة كنهها يقول تعالى " وعند مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم

(١) سورة البقرة الأيات من ١ :٥

(٢)الحديث أخرجه أحمد والدارمى وابن قانع معاً وفى معجم الصحابة والبخارى فى تاريخه

مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبـة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين [١] "

هذه أمور وردت يجب الايمان بها وهى محدوة المعالم بل وضوحها يتحدى العقل ويظهر قصوره فى الاطلاع عليها لأن ذلك من خصوصيات الله وحده[٢].

وحتى لا يجهد العقل وتضيع الأوقات فى أمور لايصل الإنسان فيها إلى نتيجة فقد أخبرنا الله عز وجل بعلم أشياء استأثر بها لأنها من الغيب ولا مجال للبحث فيها ولكن على العاقل أن يؤمن بها ويسلم بعملها لله ، هذه الأشياء وردت فى قوله تعالى " **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير** [٣]" نعم تعجز كل العقول عن تحديد موعد قيام الساعة فذلك عنده لا يطلع عليه أحد سواه وكذلك ينزل المطر فى موعده لايعلمه إلا هو وحده وكذلك له علم ما فى الأرحام ذكور أم إناث كامل أم منقوص " أى مكتمل أم مشوه " أو زيادة أو نقصان ولا تعلم النفس مهما بلغت ما يأتيها من رزق غد أو ما يأتيها من خير أو شر وتعجز العقول عن معرفة متى تبلغ الروح الحلقوم مهما تقدم الطب وبحث الأطباء وكذلك لا يعلم المكان الذى تفارق فيه الروح الجسد إلا الله كل ذلك من علم الله وحده .

### ٣. صلة العقل بالشرع :

---

١) سورة الأنعام الأية ٥٩

(٢) قيمة العقل فى الإسلام صـ ٤٥ ، ٤٦

(٣) سورة لقمان الأية ٣٤

بداية نقول إن العقل والشرع فى الرسالة الإسلامية أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ويصور هذا المعنى حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فيقول : أعلم أن العقل لن يهتدى إلا بالشرع والشرع لم يتبين إلا بالعقل فالعقل كالأساس والشرع كالبناء ولم يثبت أساس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس " ويقول فى موضع آخر " الشرع عقل من الخارج والعقل شرع من الداخل فهما متحدان ولكون الشرع عقلاً من الخارج سلب الله تعالى اسم العقل عن الكافر فى غير موضع من القرآن نحو قوله تعالى " **صم بكم عمي فهم لا يرجعون** [١] " ويكون العقل شرعآ من الداخل قال تعالى فى صفة العقل " فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم [٢] " فسمى العقل ديناً ولكونهما متحدين قال تعالى " نور على نور [٣] " أى نور العقل ونور الشرع [٤] "

إذن فالعقل والشرع كلاهما من الله تعالى وكلاهما يهدف لهداية البشر ومن هنا فإن العلاقة بينهما علاقة وثيقة والارتباط بينهما ارتباط لزوم ولا تحسبن أن هذه العلاقة قاصرة على أثناء نزول الشريعة وبعد تمامها وهل يعقل أنه متى نزلت الشريعة وبلغت أهلها أصبح أمرها ناسخاً لأحكام العقل وأوامره كما يبطل التيمم بحضور الماء ... كلا

إن النور لا ينسخ النور ولكنه إما أن يؤكده أو يؤيده أو يغذيه وبنور العقل يستطيع الإنسان أن يتلقى عن الرسل شرع الله تعالى وهذه هى وظيفة

(١) سورة البقرة الأية ١٨
(٢) سورة الروم الأية ٣٠
(٣) سورة النور الأية ٣٥
(٤) معارج القدس صـ٥٧ ، ٥٨ للإمام الغزالى ط السعادة ط الأولى سنة ١٤٣٦ هـ

العقل ، أن يعقل الشرع لا أن يُشرع ويبتدع من تلقاء نفسه لأن المشرع هو الله وحده وعلى هذا أجمعت الأمة سلفها وخلفها فالتشريع حق الله تعالى وحده وهومنحة منه لعباده به يستطيعون أن يحددوا مسار حياتهم وهذه حقيقة ينبغى أن يعلمها الجميع ألا يشرع للإنسان إلا خالق الإنسان وقد نص القرآن على ذلك فى غير موضع فقال " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً [1] "

### ٤ـ العلاقة بين النقل والعقل

بالنسبة للعلاقة بين النقل والعقل نجد أنه ينبغي أن نقدم النقل على العقل فإذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية فإن النقل أي النص الشرعي يكون متقدماً والعقل يتبعه فيكون له تابعاًفلا يجوز للعقل أن يسرح في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل والدليل على ذلك أمور منها : –

**الأول** : أنه لو جاز للعقل تخطي مأخذ النقل لم يكن للحد الذي حده النقل فائدة لأن الغرض أنه حد له حداً فإذا جاز تعديه صار الحد غير مقيد وذلك في الشريعة باطل فما أدى إليه مثله .[2]

**الثاني** : ما تبين في علم الكلام والأصول من أن العقل لا يحُسن ولا يقُبح ولو فرضناه متعدياً لما حده الشرع لكان محسناً ومقبحاً .

الثالث : أنه لو كان كذلك لجاز إبطال الشريعة بالعقل وهذا محال باطل وبيان ذلك : أن معنى الشريعة أنها تحد للمكلفين حدوداً في أفعالهم وأقوالهم

---

(١) سورة النساء الأية ٦٥ وانظر العقل وأهمية فى الإسلام د. جمال منصور صـ ٢٠ ، ٢١

(٢) الموافقات في أصول الشريعة جـ ١ ص ٨٧ لأبي اسحاق الشاطبي دار المعرفة بيروت لبنان

واعتقاداتهم وهو جملة ما تضمنته فإن جاز للعقل تعدي حد واحد جاز له تعدي جميع الحدود لأن ما ثبت للشئ ثبت لمثله وتعدي حد واحد هو معنى إبطاله أي ليس هذا الحد بصحيح وإن جاز إبطال واحد جاز إبطال السائر وهذا لا يقول به أحد لظهور محاله .(١)

إذن فلا محالة أن العقل محتاج للدين لينصره على مهلكاته ويوضح له منهج الحياة الذي يسير عليه لذلك لم يتدخل الشرع في أمور تخص علوم الطبيعة مثلاً ولكن ترك للناس أمور معايشهم حتى لا يتهم أحد الدين بأنه معطل للعقل أو مجمد للفكر ولقد أرشدنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى وجوب استقلالنا في أمور دنيانا وذلك في واقعة تأبير النخل عندما سألوه عن ذلك فقال لهم " أنتم أعلم بأمور دنياكم " (٢)

إن أعظم ما وجه الدين العقل إليه هو أن هذه التي يغتر بها الإنسان دار فناء لا محل خلود فلهذا كان الأيقاظ من أهلها العباد وأعقل الناس فيها هم الزهاد والقرآن الكريم يصور لنا هذا الحال في آيات رائعة البيان يقول تعالى "**إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** " (٣)

يقول فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى في مجال قيادة الدين للعقل " إن الإنسان إنما سبيله أن تفيده الملل بالوحي ما شأنه ألا يدركه بعقله

(١) قيمة العقل في الإسلام صـ ٤٠، ٤١

(٢) رواه مسلم من حديث عائشة وأنس رضى الله عنهما

(٣) سورة يونس الآية ٢٤

وما يجوز عقله عنه وإلا فلا معنى للوحي وفائدة إذا كان إنما يفيد الإنسان ما كان يعلمه وما يمكن إذا تأمله أن يدركه بعقله ولو كان كذلك لوكل الناس إلى عقولهم ولما كانت بهم حاجة إلى نبوة ولا إلى وحي لكن لم يفعل بهم ذلك فلذلك ينبغي أن يكون ما تفيده الملل من العلوم ما ليس في طاقة عقولنا إدراكه"[1]

من هذا كله يتضح أن الدين قائد للعقل ولو كان العقل يكتفي به لم يكن للوحي فائدة ولا غناء .

**٥ـ التزام العقل بتعاليم الدين :**

في جميع المجتمعات تقع كثير من المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأكبر دليل على ذلك هو ساحات المحاكم المحلية والدولية حيث تكتظ بأصحاب القضايا والتي تحمل كثير من صور الظلم الذي يعاني منه كثير من الناس بسبب تحكم قوانين البشر في البشر ورفض أن يتحكم قانون الخالق في المخلوق أي تطبيق شرع الله تعالى وأسلمة وجه حياة المجتمعات.

إن السبب الحقيقي وراء كل ذلك هو عدم التزام أصحاب العقول بمبادئ وقيم الدين ورفضهم تحكيم قوانين الإسلام بينهم وترك ذلك للعقل الذي به يدعي كل خصم أنه على حق وأن لديه رأيه العقلي والذي يحاول من خلاله تبرير ما يفعله .

ولنضرب مثالاً لمجتمع سادته مبادئ الحق فعاش في أمن واستقرار لقد عينّ أبوبكر رضى الله عنه في أول خلافته عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاضياً على المدينة وبعد مضى عام حضر عمر إلى أبي بكر يطلب إعفاءه من

(١) الإسلام والعقل صـ٢٧ للمرحوم الدكتور عبد الحليم محمود ط دار المعارف

منصبه فسأله أبوبكر يا عمر أمن مشقة القضاء ؟ فرد عمر : لا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنني مكثت سنة لم يختصم إليّ فيها اثنان ولا جلست أثناءها مرة واحدة للقضاء فتعجب أبوبكر وسأله : وما سبب ذلك ؟ قال عمر : يا أمير المؤمنين لا حاجة بي عند قوم مؤمنين عرف كل واحد منهم ماله من حق فلم يطلب أكثر منه وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه أحب كل منهم لأخيه ما يحبه لنفسه إذا غاب أحدهم تفقدوه وإذا مرض عادوه وإذا أفتقر أعانوه وإذا احتاج ساعدوه وإذا أصيب بسوء واسوه دينهم النصيحة وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففيم يختصمون قال أبوبكر نعم يا فاروق فما عساه يكون عمل القاضي بين قوم لا يبغي بعضهم على بعض ولا يكيد بعضهم لبعض ولا يسلب بعضهم حق بعض ولا يبخل غنيهم على فقيرهم ولا يتكالبون على الدنيا فلم يجعلوها أكثر همهم ولم يجعلوا المال بديلاً لأصلهم [1] وشرفهم وعملهم ولم تضع القيم بينهم . [2]

من خلال هذا المثال الذي ذكرناه من سيرة الصحابة الكرم الجيل الأول في الأمة الإسلامية يتبين لنا كيف يكون المجتمع المسلم حينما تسوده تعاليم شرع الله وكيف يتحقق له الأمن والاستقرار وهما مطلب كل عاقل في كل زمان ومكان وفي المقابل أعني عند غياب تعاليم الشرع والدين يسود الظلم والجهل المجتمعات .

والحقيقة أن أصحاب العقول بدون شرع ودين يهديهم ويقودهم ليسوا بعقلاء حقاً لأنهم لن يستطيعوا أن يحققوا لمجتمعاتهم الأمن والاستقرار أما إذا كان قائدهم وهاديهم دين الله وشرعه حققوا من تصبوا إليه مجتمعاتهم من الرقي

(١) إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " كلكم لآدم وآدم من تراب "
(٢) قيمة العقل في الإسلام صـ ٤١ ، ٤٢

والتقدم والأمن والاستقرار فكانوا حقاً أصحاب العقول السليمة والصحيحة . وهنا يظهر لنا مدى حاجة العقل والتزامه بتعاليم الدين .

## المبحث الثالث :

## العقيدة الإسلامية والعقل

### ١. صلة العقيدة الإسلامية بالعقل

من الحق أن نقرر أن مفهوم العقيدة في الثقافة الإسلامية يختلف عن غيرها من الثقافات الأخرى، فالعقيدة في الفكر الإسلامي تعني " مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه ويثني عليها صدره جازماً بصحتها قاطعاً بوجودها وثبوتها لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً " (١)

ويمر العقل في هذا الدور بعمليات تحليلية تقوم على التأمل فالمقارنة فالاستنباط والاختيار ثم تنتهي به إلى هذا المعتقد أو ذاك ، وتكون العقيدة عندئذ ثمرة لعمل عقلي منظم مسبوق بالإرادة الحرة والاختيار المطلق ومنته بالإذعان والتصديق اللذان يغمران كل جوانب النفس ويجعلان من المبدأ أو الفكرة جزءاً لا يتجزأ من هذه النفس .(٢)

والإسلام يجعل الصلة قائمة بين العقيدة والعقل وقد حدد الدور الذي يجب أن يقوم به العقل في مجال العقيدة ، ولقد دعا القرآن الكريم والسنة الشريفة دعوة ملحة ومتكررة إلى استعمال العقل في مجال العقيدة واتخذت تلك الدعوة مسلكين مسلكاً نظرياً ومسلكاً عملياً .

---

(١) عقيدة المؤمن صـ٢٦ أبو بكر جابر الجزائري . مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨م .

(٢) العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع صـ ١٦ د/ محمد بيصار . الطبعة الرابعة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م .

أما المسلك النظري فيتمثل فيما ورد من الأمر الصريح والحث المتكرر على التفكر والتدبر لإدراك معنى معين من معاني العقيدة وهو ما يحفل به القرآن الكريم حتى إن المواطن التي ورد فيها هذا الحث بأسلوب أو بآخر بلغت في مادة " العقل " ثمانية وأربعين موطناً وفي مادة " الفكر " سبعة عشر موطناً وفي مادة " الألباب " ستة عشر وهذا غير مواد أخرى كالنظر والاعتبار والتدبر [(١)].

وأما االمسلك العملي فيتمثل فيما ورد من الاستدلالات العقلية على ثبوت ، حقائق عقائدية سواء فى مجال الرد على المعترضين أو فى مجال تدعيم المؤمنين واستدارج المستأنسين[(٢)] . ولكن دور العقل فى العقيدة هو الفهم والاستيعاب لا الاختراع لقصور إمكاناته فى هذا الشأن " ومما يؤكد أن مجال العمل العقلى فى العقيدة هو التفهم أن الحث الإلهى على التفكير والتدبر لا يرد منبتاً عن حقيقة من حقائق العقيدة مما عسى أن يفهم منه الاستقلاليه فى النظر ولكنه يرد دوماً مقروناً بحقيقة عقائدية وإن اختلفت أساليب الاقتران مما يوحى بأن النظر العقلى إنما هو لإدراك موجود لا لاكتشاف مجهول [(٣)]"

غاية الأمر أن للعقل دوراً فى تعقل العقيدة واتخاذ موقف نحوها وبذل مجهود فكرى فى تبثيتها فى نفس الإنسان وهذا يفسر لنا استجابتنا لبعض الدعوات المبشرة بنوع من العقائد ورفضنا الاستجابة لبعضها الآخر .

---

(١) مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية صـ ٣٣٠ دكتور حسن إبراهيم عبد العال ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م .

(٢) العقل والسلوك فى البيئة الإسلامية صـ ٨٩ ، ٩٠ عبد المجيد النجار . منشورات مطبعة الجنوب مدنين نونس سنة ١٤٠٠ هـ سنة ١٩٨٠

(٣) السابق صـ ٩٢

ثم هو مايفسر لنا كذلك السبب فى تجنب المربين من يقومون على تربيتهم وتوجيههم من الأفراد والجماعات الاستماع إلى بعض الآراء والتوجيهات المشتملة على الضار من العقائد والفاسد من المبادئ بمقدار تقريبهم من الاستماع لنقائضها وتهيئتهم للإنفعال بها والإقبال على اعتناقها [١].

وهكذا يختلف مفهوم العقيدة فى الثقافة الإسلامية عنه فى غيرها حيث فى الإسلام ينبغى أن تكون العقيدة صحيحة فى ذاتها ثم يتعلق القلب بها بناء على دليل صحتها ومن أجل ذلك كانت دعوة القرآن إلى النظر والتأمل والتعقل والتفكر .

**٢. حرية الاعتقاد :**

إن تنمية العقل بحيث يصبح قادراً على التفكير السليم عمل أساسي تقوم به التربية في سبيل تنمية مفهوم الحرية بشكل عام وحرية الاعتقاد بوجه خاص ونحن لا نستطيع أن نسم إنساناً بأنه حر مالم يملك هذا الإنسان عقلاً قادراً على أداء وظيفته أداءاً جيداً وكيف يكون حراً من لم يميز بعقله بين العقائد المختلفة ليختار لنفسه عقيدة يعقد عليها قلبه ويثنى عليها صدره وينظم بها شئوون حياته وكيف يكون حراً من لم يستخدم عقله استخداماً حسناً فى تفهم العقيدة وإدراكها خاصة وأن الإسلام كما سبق أن بينا جعل للعقل دوراً لا ينكر فى تفهم العقيدة واستيعابها وحمل حملة لا هوادة فيها على التقليد الأعمى والاتباع المجرد من النظر ومن أغرب ما يرويه الراوون فى تاريخ الإسلام أنه لا عتماده على العقل والنظر والعلم والبرهان قرر الأصوليون أن الإيمان التقليدى فى عقائده غير مقبول فلا بد لكل معتقد أن يكون لديه الدليل على ما يأخذ به بقدر درجته من العلم [٢] .

(١) العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ص١٧ ، د. محمد بيصار . الطبعة الرابعة . مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٣٩٣ . سنة ١٩٧٣ م

(٢) الإسلام دين الهداية والاصلاح صـ ٤٠ محمد فريد وجدى . راجعه محمد زهرى النجار مكتبة الكليات الآزهرية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م

ولعل هذا ما يميز بين الإسلام وبين غيره من الأديان والفلسفات حيث حرص الإسلام على إيقاظ العقل وتنبيه التفكير والنظر الحر ونعى على الآخذين بالظنون والأوهام وسمع الناس لأول مرة فى تاريخ الأديان كلمات : تفكير ونظر وبرهان . ومن هنا كان على التربية أن تعنى بتنمية قدرة الفرد على التفكير السليم وتنمية تلك القدرة لا تكون بتحصيل الفرد كماً كبيراً من المعارف والعلوم وإنما تكون بتنمية اتجاهات فكرية صحيحة كدقة الملاحظة وقد عبر القرآن الكريم عن الملاحظة الموضوعية الدقيقة بالنظر وهو نظر مقصود ويرمى إلى هدف واضح [١].

وتحرير الفكر من التعصب والتحيز كما رأينا كيف واجه الإسلام العوامل المعوقة للتفكير السليم والاستدلال الصحيح وبذلك يصبح اختيار الفرد لعقيدته اختياراً حراً قائماً على التفهم والإدراك مستخدماً العقل فى استجلاء أحكام تلك العقيدة وبذلك المجهود الفكرى لتثبيت تلك العقيدة فى النفس ليصبح سلوك الإنسان وتصرفه فى واقع حياته صورة منعكسة عن عقيدته ، غير أن حرية الاعتقاد لا تكون ثمرة عمل عقلى اختيارى فحسب بل يقوم الوجدان وتقوم العاطفة بدورها فى ذلك فتلتقى فى العقيدة عاطفة الفرد وعقله وفى الحقيقة إن كل اعتقاد يأخذ به الشخص لا يقوم على أساس المعرفة وحدها بل لعله يعبر عن اتجاهاته وعواطفه بدرجة كبيرة " ومادام الإنسان يلتذ ويتألم ومادام ميله يشتد ورغبته تقوى فيما يلتذ به بمقدار ما يبتعد وينفز من كل ما يسبب له ألماً أو قلقاً نفسياً ، فإنه يكون من الطبيعى القطع بما للوجدان والشعور النفسي من أثر بالغ فى تكوين العقيدة [٢] .

(١) مقدمة فى فلسفة التربية الإسلامية صـ ٣٣٦ مرجع سابق

(٢) العقيدة والأخلاق صـ ٥٨ مرجع سابق

## المبحث الرابع

## التقليد والعقل

وإذا نظرنا إلى كتاب الإسلام الأول وهو القرآن الكريم نجده قد دعا إلى تحرير العقل ونبذ التقليد وإذا تصفحنا آياته نجد فيها تنفير من اتباع الآباء مهما عظم أمرهم بدون استعمال العقل يقول منكراً عليهم إغفال عقولهم وإهمال أفكارهم قال تعالى " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون [1] ويقول عزوجل " وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون [2] " إلى غير ذلك من النصوص التى تقطع بذم مقلدى آباءهم فى عقائدهم الضالة ورفضهم اتباع الحق لا لشئ سوى أنه يخالف ما توارثوه عن آباءهم فى عقائدهم لهذا كان التقليد فى الدين أقراً له خطورته خصوصاً إذا علمنا أن علماء الأصول قد قرروا " أن الإيمان التقليدى فى عقائده غير مقبول فلا بد لكل معتقد أن يكون لديه الدليل على كل ما يأخذ به بقدر درجته من العلم [3] .

وبناء عليه فإن من قلد فى الإيمان بالله لا يقبل منه إيمانه ولا تسلم له عقيدته إلا إذا عرف كيف يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يعتقده وعند ذلك يكون إيمانه إيماناً مسترشداً بالعقل والفطرة واليقين وليس إيماناً مبنياً على التقليد والاتباع بل إيماناً منبعثاً عن يقين واقتناع .

---

(١) سورة البقرة ١٧٠

(٢) سورة المائدة الأية ١٠٤

(٣) الإسلام دين الهدايه والإصلاح صـ ٣٢ محمد فريد وجدى ط مكتبة الكليات الأزهرية.

ومن هنا فإن العلماء قطعوا بأن أصول العقيدة والشريعة لا يجوز التقليد فيها ولا يصح إيمان المقلد فى تلك الأصول فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا يكون صحيحاً إلا باعتقاد جازم ولا يقع الاعتقاد الجازم إلا مع إدراك وعلم وكذلك الشأن فيما افترض الله على المسلم من عبادات وماحرم عليه من محرمات [١] .

ومن العلماء الذين ذهبوا إلى بطلان التقليد وفساده القاضى عبد الجبار المعتزلي إذ يقول " ومما يعتمد عليه فى فساد التقليد أن المقلد لا يأمن خطأ من قلده فيما يقدم عليه من الاعتقاد وأن يكون جهلاً قبيحاً والإقدام على مالا يؤمن كونه جهلاً قبيحاً بمنزلة الإقدام عليه مع القطع على ذلك [٢] .

**وخلاصة القول**

إن التقليد كما يقول الإمام القرطبى ليس طريقآ للعلم ولا موصلاً له لا فى الأصول ولا فى الفروع وهو قول جمهور العقلاء والعلماء [٣] . وذلك لأنه جناية على الفطرة البشرية وسلب لمزية الإنسان فى التمييز بين الحق والباطل وتعطيل لملكاته العقلية ومواهبه الفكرية وهو داء قاتل يقتل فى الإنسان آدميته ويقتل فيه روح الابتكار والتجديد الأمر الذى من شأنه يجعله أقرب إلى عالم الحيوان منه إلى عالم الإنسان من أجل هذا نبذ القران الكريم التقليد والمقلدين وشدد النكير على أولئك الذين أغفلوا عقولهم وأهملوا أفكارهم فقال تعالى " يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنآ الرسولآ وقالوا ربنا إنا

(١) العقل وأهميته فى الإسلام د. جمال منصور مرجع سابق
(٢) شرح الأصول الخمسة صـ ٦٣ للقاضى عبد الجبار المعتزلى نشر وهبه
(٣) تفسير الإمام القرطبى حـ١ صـ٥٩١ ط الشعب

أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً [١] " يقول الإمام ابن القيم معلقاً على هذه الأية " وهذا نص فى بطلان التقليد [٢] "

هذا وقد حمل الإمام محمد عبده على التقليد ودعاته فى غير موضع من كتاباته ففى رسالة التوحيد يقول " أنعى الإسلام على التقليد وحمل عليه حملة لم يردها عنه القدر فيدت فبالقه المتغلبة على النفوس واقتلعت أصوله الراسخة فى المدارك ونسفت ما كان له من دعائم وأركان فى عقائد الأمم صاح بالعقل صيحة أزعجته من سباته وهبت به من نومة طال عليه الغيب فيها [٣] " .

مما سبق يتبين لنا أن القران الكريم قد ذم التقليد والمقلدين الذين لا يعملون عقولهم ويهملون التفكير العقلى السليم المبنى على الاقتناع وإذا كان قد ذم التقليد فإنه يأمرنا بالاتباع المحمود فى كثير من نصوصه قال تعالى " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم [٤] " وغيرها من الآيات التى تدعو إلى الاتباع المحمود لأن الاتباع قبول القول أو العمل بدليل بخلاف التقليد .

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٦٦ ، ٦٧
(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين حـ٢ صـ١٨٩ لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ تعليق طه عبد الرازق سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية
(٣) رسالة التوحيد صـ ١٥٩ للإمام محمد عبده طبعة الرسالة
(٤) سورة آل عمران الأية ٣١

**هذا ولقد رسم لنا القران الكريم أصول التفكير السليم على النحو التالى :**

**أولاً** : دعا إلى تحرير العقل من الجمود ورواسب التقليد بمثل قوله تعالى " **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** (١)

**ثانياً** : دعا إلى وجوب التثبت فى العلم بمثل قوله تعالى " **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** (٢) "

**ثالثاً**: أقام منهج النظر والاستدلال والتجريب بمثل قوله تعالى " **قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** (٣) "

**رابعاً**: نهى عن اتباع الظن لأن الظن لاتقوم به حجة بمثل قوله تعالى " **إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً** (٤) "

**خامساً**: طالب بدليل والبرهان بمثل قوله تعالى " **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** (٥) " هذه هى الأصول التى رسمها القرآن الكريم للتفكير السليم ويتبين من خلالها أن الإسلام دين يصون العقل ومن أجل هذا حارب الخرافات والأوهام فلقد محا الدين الإسلامى بنصوصه الصريحة

(١) سورة البقرة الأية ١٧٠
(٢) سورة الإسراء الأية ٣٦
(٣) سورة العنكبوت الأية ٢٠
(٤) سورة النجم الأية ١١١
(٥) سورة الأنعام الأية ١٤٨

وتعاليمه الواضحة كل أثر لعهود الخرافات والأباطيل التى كانت تقيل العقل وتمنعه من الرؤية الصحيحة والتفكير الحق فلا كهنة ولا كهنوت ولا وساطة بين الخالق والمخلوق ولا شئ يمكن أن يحده من حرية الفكر وانطلاقة الإنسان [١] .

(١) الرسالة المقدمة إلى كلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة للحصول على درجة الدكتوراه د. عبد المعطى بيومى صـ ١٠٦ مخطوط

# الخاتمة

تبين لنا من خلال هذه البحث قيمة العقل فى الإسلام بصفة عامة وفى العقيدة الاسلامية بصفة خاصة واتضح بجلاء ووضوح أن القران الكريم قد ارتفع بالعقل واتخذ له منهجاً فريداً يتربى من خلاله على أصول التفكير السليم ليعصمه من الذلل ويحفظه من الزيغ والضلال ويسمو به إلى المستوى الكريم الذى يريه الحق من الباطل فى ظلال الدين المتين وعلى نور من هديه .

إلا أن محاولات العقول لم تقف بل حاول البعض الغوص فى هذا المجال مدعين معرفتهم للغيب خادعين غيرهم لا يصدقهم فى دعواهم إلا الجهلاء وسفهاء الناس وكذلك أصحاب الفكر القصير وفى الحقيقة – أن كل هذه الأنواع التى يدعى بها أصحابها معرفة الغيب ما هى إلا محاولات دجل وخداع ، إن الحس عاجز عن الوصول بنا إلى المغيبات فإننا لا نحسها والعقل كذلك قاصر لأنه مبنى على الحس ومعلوم أن من البديهيات أن لكل شئ مخلوق حدود لا يستطيع تعديها والعقل مخلوق وعلمه له حدود يقف عندها ويسلم لله خالق الغيب وخالق العقل بديع السموات والأرض وأى محاولات فى غير ذلك فإنها من قبيل النهج الفلسفى وهى آراء من صنع البشر تؤدى إلى الضلال وهى أيضاً طريق العبث الذى يعتبر انحراف عن سواء السبيل .

هذا وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين .

## المراجع

- الإسلام دين الهداية والإصلاح لمحمد فريد وجدى راجعه محمد زهرى النجار . مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٣٨٩ سنة ١٩٦٩م
- الإسلام والعقل للدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله ط دار المعارف
- أضواء على النفس البشرية للدكتور عبد العزيز جادو ط دار المعارف
- أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ تعليق طه عبد الرازق سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية
- التجديد فى الفكر الإسلامى للدكتور عبد المعطى بيومى الرسالة المقدمة إلى كلية أصول الدين للحصول على الدكتوراه مخطوط بالكلية .
- التفكير فريضة إسلامية للاستاذ عباس العقاد ط المكتبة العصرية . بيروت
- رسالة التوحيد للإمام محمد عبده طبعة الرسالة .
- شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار المعتزلى . نشر وهبه
- صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابونى دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان
- العقل والسلوك فى البيئة الإسلامية تأليف عبد المجيد النجار منشورات مطبعة الجنوب مدنين تونس سنة ١٤٠٠هـ سنة ١٩٨٠م

- العقل وأهميته فى الإسلام للدكتور جمال منصور حولية كلية أصول الدين العدد الثامن عشر المجلد الثانى سنة ٢٠٠١ م
- عقليات إسلامية تأليف محمد جواد مغنية طبعة دار التبار . بيروت
- عقيدة المؤمن لأبى بكر جابر الجزائرى . مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م
- العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع د. محمد بيصار . الطبعة الرابعة مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م
- الفكر الإسلامى بين العقل والوحى للدكتور عبد العال سالم مكرم .
- القاموس المحيط للفيروز أبادى تحقيق مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم مؤسسة الرسالة .
- قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار دار الجيل . بيروت
- قيمة العقل فى الإسلام تأليف محمد الصايم . الناشر مكتبة الزهراء
- لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف
- مختار الصحاح للرازى
- المصباح المنير للعلامة أحمد المقري ، ط دار الحديث .
- معارج القدس للإمام الغزالى ط السعادة ط الأولى سنة ١٣٣٦ هـ
- مقدمة فى فلسفة التربية الإسلامية دكتور حسن إبراهيم عبد العال ط سنة ١٤٠٥ هـ سنة ١٩٨٥م
- المنقذ من الضلال لأبى حامد الغزالى تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار المعارف

- الموافقات فى أصول الشريعة لأبى اسحاق الشاطبى دار المعرفة بيروت لبنان
- نفسير القرطبى للإمام القرطبى رحمة الله تعالى ط الشعب
- النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير

# فهرس المحتويات

مقدمة ..... ٢١٧
تمهيد : ..... ٢١٩
ماهية العقل ..... ٢١٩
تعريف العقل فى اللغة ..... ٢٢١
المبحث الأول : القرآن والعقل ..... ٢٢٣
من أسماء العقل فى القرآن الكريم ..... ٢٢٧
١. العقل بمعنى اللب : ..... ٢٢٧
٢. العقل بمعنى القلب : ..... ٢٢٨
٣. العقل بمعنى الفؤاد : ..... ٢٢٨
٤. العقل بمعنى الحلم : ..... ٢٣٠
٥. العقل بمعنى الحجر : ..... ٢٣٠
٦. العقل بمعنى النُهى : ..... ٢٣١
المبحث الثانى : الديــن والعقــل ..... ٢٣٣
١. حاجة العقل إلى الدين : ..... ٢٣٣
٢- العقل والغيب ..... ٢٣٦
٣. صلة العقل بالشرع : ..... ٢٣٨
٤- العلاقة بين النقل والعقل ..... ٢٤٠
٥- التزام العقل بتعاليم الدين : ..... ٢٤٢
المبحث الثالث :العقيدة الإسلامية والعقل ..... ٢٤٥
١. صلة العقيدة الإسلامية بالعقل ..... ٢٤٥
٢. حرية الاعتقاد : ..... ٢٤٧
المبحث الرابع : التقليد والعقل ..... ٢٤٩
الخاتمة ..... ٢٥٤
المراجع ..... ٢٥٥